الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
- البويرة -
كلية الآداب واللغات

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -
Faculté des Lettres et des Langues

جامعة البويرة

قسم اللغة و الأدب العربي

أثر المعنى النّحوي في توجيه المعنى البلاغي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس

إعداد الطلبة:

- فاطمة الزهرة شرشم
- نصيرة حميشي
- تسعديت بويزري

إشراف الأستاذ:

عبد القادر تواتي

السنة الجامعية:2015/2014

شكر و عرفان

الحمد لله المستحق للشكر، نحمده عدد خلقه على توفيقه لنا وجعلِه لنا من طلبة العلم.

نشكر كلّ من ساعدنا من قريب أو بعيد في إنجاز هذا البحث. كما نشكر أستاذنا المشرف علينا: الأستاذ: عبد القادر تواتي.

كما نتقدّم بالشكر والتقدير إلى كلّ من لم يبخل علينا بشيء في سبيل إنهاء هذا العمل.

كما لا ننسى كل الأساتذة الذين يسهرون من أجل إنارة دروب هذه الأجيال الصاعدة وكل الطاقم الإداري للجامعة والذين يسهرون من أجل رعاية مصالح الطلبة.

فشكرا.

© Ladie Lynn

إهداء

إلى من أحمل اسمه بكل فخر،

إلى من يرتعش قلبي لذكره،

والدي العزيز

إلى من أرضعتني الحب والحنان،

إلى رمز الحب وبلسم الشفاء،

والدتي العزيزة

إلى من بهم أكبر وعليهم أعتمد،

إخوتي وإخواني

إلى الوجه المفعم بالبراءة، ولمحبتها لأزهرت أيامي وتفتحت براعم للغد،

ابنتي إيلين رحمها الله

إلى من عرفت كيف أجدهم وعلموني أن لا أضيعهم،

صديقاتي

إلى رياحين الحب: رحاب، هديل، أنيس، مرام، أيوب.

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي. فاطمةالزهرة

إهداء

إلى من بث في نفسي أقوى المعطيات، وسطر دربي بكثرة الدعوات: إلى الغالي أبي أطال الله في عمره.

إلى التي جاذكرها في القرآن و جعلت الجنّة تحت قدميها وإلى التي ينحني الشعور لها بذكر اسمها: إلى أمي الغالية.

إل كل شموع العائلة: أخواتي العزيزات و إخوتي الأعزاء.

وإلى زوجي: فاهو إلى رفيقات الدّرب: صديقاتي: تسعديت، حميدة، سماح، هالة، فتيحة، عائشة، يسمينة.

وإلى كل العائلة الكبيرةأعمامي و عمّاتي، أخوالي

و خالاتي.

نصيرة

إهداء

إلى كل من أضاء بعلمه عقل غيره

أو هدى بالجواب حيرة سائليه

فأظهر بسماحته تواضع العلماء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى كل من:

أبي: الشمس التي أضاءت حياتي

إلى روح أمي أسكنها الله فسيح الجنان

وإلى عمّتي العزيزة

وإلى إخوتي ذكورا وإناثا

وإلى كل الذين أعرفهم خاصة صديقاتي: كاتية،

كهينة، نبيلة.

تسعديت

مقدّمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة و السّلام على من لا نبّي بعده، سّيدنا محمد وعلى آله وصحبه المستكملين الشرف:

لقد كان إعجاز القرآن أّول دافع للعرب لدراسة اللغة العربية دراسة لغوية وأدبية وقد عمل القدماء والمحدثون على دراسة الجانب المتعلّق بإعجاز القرآن الكريم.

ومن الذين نبغوا في هذا البحث هم النّحاة والبلاغيون، فكانت جهودهم في كلّ مرّة تثمر علوما تكشف ثراء العربية. وهذه العلوم سمتها التكامل، فالنّحو باب المعنى، والبلاغة روح المعنى.

إنّ إشكالية بحثنا هذا هي: هل للمعنى النّحوي أثر في المعنى البلاغي؟ وما العلاقة التي تربط هذين العلمين؟ أهي علاقة اتصال أم انفصال؟ وكيف يؤثر المعنى النّحوي في المعنى البلاغي؟

إنّ اختيارنا لهذا الموضوع يتمثل في سبب موضوعّي هو أّنا رغم الآراء التي تتضارب حول علاقة هذين العلمين، فإّنا وجدنا إقرارا بعلاقة التكامل الموجودة بينهم، لذلك عمدنا إلى أن تكون دراستنا لهذا الموضوع مبّينة للعلاقة الوطيدة بينها أكثر من كونها تتطابق أو تنفصل انفصالا تاما.

اعتمدنا المنهج الوصفي التحليلي لدراسة هذا الموضوع، إذ سنتطرق إلى بعض المسائل النّحوية والبلاغية في مباحثه.

وأّما أهمية هذا البحث تتمثل في إشارته إلى أهم نظرية في اللّغة العربية والمتمثلة في نظرية الجرجاني (النّظم). وإبراز القيمة العلمية للآراء النّحوية والبلاغية.

وأّما الدراسات السابقة في هذا الموضوع :

- التراكيب النّحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني للدكتور عبد الفتاح لاشين.

ولقد انتهجنا للخوض في هذا البحث الخطة التالية:

مقدّمة: وتحمل في طّياتها ما يلي: إشكالية البحث، سبب اختيار الموضوع، المنهج، الدراسات السابقة، الخطة والصعوبات التي واجهتنا في انجازنا لهذا البحث.

واقتضت الدراسة أن ينقسم البحث إلى فصلين، الفصل الأّول يحمل عنوان: المعنى والنّحو، إذ ذكرنا فيه التعريفات وعناصر كأنواع المعنى وعلاقة النّحو بالبلاغة، وفيه ذكرنا مواطن التقاء هذين العلمين من حيث النشأة. وعلاقة النّحو بعلم المعاني وهو أكبر مباحث علم البلاغة، إذ نجد فيه مواضع عدّة لالتقاء هذين العلمين. وأّما الفصل الثاني عنوانه يتمثل في أثر المعنى النّحوي في توجيه المعنى البلاغي. تطرقنا فيه إلى توجيه المعنى النّحوي للمعنى البلاغي: وقد تناولنا فيه ظواهر: كالتقديم والتأخير والحذف والفصل والوصل. ثم تعرضنا لمسألة النّحو البلاغي عند الجرجاني الذي يشمل آراء عبد القاهر الجرجاني في هذا الصدد. خاتمة لذكر أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال بحثنا.

وككل الباحثين المبتدئين لاقينا صعوبات في بحثنا متمثلة فيما يلي:

- كثرة الدراسات وتشعبها حول الدراسات النّحوية و البلاغية مما صعّب علينا حصرها.
- عدم وجود بحث أكاديمي لنهتدي به في بحثنا إنّما كل الأبحاث كانت عبارة عن ما ذكر في أمّهات الكتب و شرحها في مؤلفات عديدة مما صعّب علينا مهمة الإطلاع عليها كلّها.

ونسأل الله التوفيق في هذا البحث المتواضع.

الفصل الأوّل:

المعنى والنّحو والبلاغة

1- مفهوم النّحو والبلاغة والعلاقة بينهما.

2- المعنى وأنواعه.

1- مفهوم النّحو والبلاغة والعلاقة بينهما:

أ. **مفهوم النّحو: لغة واصطلاحا:** من مادة نحو، يقول ابن منظور في لسان العرب: « نَحَا- يَنْحُو- نَحْوا، وهو القصد والطريق، يكون ظرفا ويكون اسما. نَحَاهُ ، يَنْحُوهُ، وَنَحْوُ العربية منه، والجمع: أَنْحَاء، نُحُوٌ. الجوهري: يقال: نَحَوْتُ نَحْوَكَ أي قصدتُ قصدك»[1]، وللعلماء في تعريف النّحو أقوال كثيرة ولعلّ أشهرها ما ذهب إليه ابن جنّي بأهلها حيث يعرّفه بقوله: « هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرّفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقير والتكبير والنّسب وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل اللّغة العربية في الفصاحة، فينطق بها وإن لم يكن منهم، أو إن شذّ بعضهم عنها ردّ به إليها وهو في الأصل مصدر شائع»[2]. فالمعنى اللّغوي للفظة"نحو" هو القصد، وهو يشير إلى أنّ علم النّحو سمّي كذلك لقصده إتباع كلام العرب لحصول الفصاحة.

ب. **مفهوم البلاغة لغة واصطلاحا:** من مادة بلغ: وفي لسان العرب: « بلغ الشيء بلوغا وبلاغا، وصل وانتهى وبلغت المكان بلوغا وصلت إليه وكذلك إذا شارفت عليه»[3]، وعرّفها أبو هلال العسكري بقوله: « المبالغة في الشيء والانتهاء إلى

[1] ابن منظور، لسان العرب، (د ب): (د ت)، ط4، مادة: نحو.

[2] ابن جنّي، الخصائص، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية-بيروت: (د ت)، ط1، ص88.

[3] ابن منظور، لسان العرب، (د ب): (د ت)، ط1، مادة: بلغ.

غايته فسّميت البلاغة بلاغة لأّنها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه»[1]. فما ذكره أبو هلال العسكري هو العلاقة الموجودة بين المعنى اللّغوي والمعنى الاصطلاحي للفظة"بلاغة" وهي أّنها تنهي المعنى إلى السامع، خاصة ما تعلّق بالجمال ا لفّني للكلام. والبلاغة ثلاثة علوم، وقد خصّص السّكاكي(ت626ه) القسم الثالث من كتابه "مفتاح العلوم" لعلمي المعاني، والبيان، ويذكر أّن علم المعاني: «هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز للوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره»[2]. فمباحث علم المعاني هي الإنشاء، الخبر، المسند، المسند إليه، القصر، الفصل والوصل، الإيجاز والإطناب والمساواة، أحوال متعلقات الفعل. وعلم البيان عند السّكاكي هو إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة، فيفصّل في هذا المبحث فيورد كلّ مسألة متعلقة به كالتشبيه والمجاز والاستعارة والكناية... ونجد أّنه يورد مسائل متعلقة بعلم المعاني، فمن علم المعاني عنده: قانون الطلب كنوع أّول وأّما الاستفهام، النّهي والأمر والنّداء كنوع ثان. وقد حاول السّكاكي أن يضع نموذجا قرآنيا ليوضّح أكثر ما تعلّق بالمباحث الثلاثة لعلم البلاغة فقال: « فأنا أذكر على

[1] أبو هلال العسكري، الصناعتين(الكتابة والشعر)، تح: مفيد عمجة، دار الكتب العلمية-لبنان: (د ت)، ط2، ص198.

[2] السّكاكي، مفتاح العلوم، تح: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت: (د ت)، ط1، ص247.

سبيل الأنموذج آية أكشف لك فيها عن وجوه البلاغة»[1]. وهذه الآية من سورة "هود"، يقول تبارك وتعالى: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2] والنّظر في الآية الكريمة من أربع جهات: جهة علم البيان وجهة علم المعاني وهما مرجعا البلاغة ومن جهة الفصاحة المعنوية ومن جهة الفصاحة اللّفظية. فمن جهة علم المعاني ينظر في فائدة كلّ كلمة منه، وكلّ تقديم وتأخير فيما بين جملها فمثلا: اختيار"يا" دون سائر أخواتها لكونها أكثر استعمالا ودالة على بعد المنادى الذي يستدعيه مقام العظمة. وعلم البيان ينظر في المجاز والاستعارة والكناية وما يتصل بها. وأّما علم البديع فقد ألّف عبد الله بن المعتز الذي أسماه بهذا الاسم "البديع" وقد ضمّنه خمسة أبواب وهي: الاستعارة، التجنيس، المطابقة وردّ الإعجاز على ما تقدّمه، والمذهب الكلامي. وقد عدّد فيه شتى أساليب البديع ليس بالمعنى الضّيق المحدود. فوظيفة النّحو هي استخراج مبادئ اللّغة ونظمها استنادا إلى الاستعمال المشترك، وغايته القصوى حماية اللّغة من الفساد والحرص على أن تواصل أداء وظيفتها الأصلية "الإبلاغ" ووسيلته في ذلك ضبط المعايير التي نفصل بها بين الخطأ والصواب وأّما البلاغة فوظيفتها وصف الطرق الخاصة في استعمال اللّغة

[1] السّكاكي، مفتاح العلوم، ص527.

[2] هود: 44.

وتصنيف الأساليب بحسب تمكنها في التعبير عن الغرض تعبيرا يتجاوز الإبلاغ إلى التأثير في المتلقي أو إقناعه بما نقول.

ج- علاقة النّحو بالبلاغة: إنّ العلوم البشرية ليست جزرا منفكة عن بعضها البعض، بل هي مرتبطة ومنسجمة وكلّ منها يتمم الآخر، والعلوم اللّغوية كالّنحو والبلاغة لهما الفضل البارز في دفع عجلة اللّغة العربية إلى الأمام، وتظهر علاقة العلمين فيما بينهما إلى جوانب عدّة منها:

- من حيث النشأة: يقول الدكتور قيس إسماعيل الأوسي: « إنّ كتب الّنحاة الأوائل مثل كتاب سيبويه كانت تمثّل صورة من الموسوعة العربية التي تضم الكثير من موضوعات اللّغة والّنحو والأدب والأصوات والقراءات لأّنهم يرون على ذلك كلّه انتحاء لسمت كلام العرب أو علاجا للّحن في شتى صوره»[1]. وما أراده بكلامه هذا أنّ العلوم العربية لم تنشأ مستقلة فيما بينها؛ وإّنما جمعت في مؤلفات بعضها كان واضح المعالم و بعضها الآخر كانت شتاتا وأفكارا يشار إليها، ثم أخذت العلوم تتميّز بعضها عن بعض مع مرور الزمن؛ حتى استقل كل علم بموضوعاته ومباحثه ومؤلفاته ومع ذلك فإنّ العلاقة بين علوم اللّغة بقيت مستمرة كما هو الحال بين الّنحو والبلاغة. فالبلاغة تبدأ من حيث ينتهي الّنحو، فهو أساسها وجذورها العميقة؛

[1] قيس إسماعيل الأوسي، أساليب الطلب عند الّنحويين والبلاغيين، بيت الحكمة للنشر والترجمة، بغداد: (د ت)، (د ط)، ص26.

إذ يبحث هو (النّحو) في استقامة الأساليب وصحتها وتبحث هي (البلاغة) في المعاني الخبيئة والأسرار الدفينة وتكشف عن الإيحاءات الكامنة وراء كل لفظ وجملة وتركيب. إنّ البحث البلاغي لم ينشأ نشأة مستقلة، كما نشأت العلوم الأخرى، وإنّما توزعته في مراحله الأولى بيئات علمية متعددة، أسهمت كل منها في نموه وتطوّره. فكان الباحثون في معاني القرآن وإعجازه يوردون ألوانا من البلاغة دون قصد إليها. فهي بالنّسبة إليهم مجرّد مباحث يتطرقون إليها دون توسعة لاندراجها تحت الأغراض الأصلية التي يبحثون فيها. حين تفطّن الباحثون لهذا النّوع من الدراسات توجهوا لدراستها وإبرازها بشكل واضح ومستقل، فوضعت الكتب وتعدّدت المناهج والاتجاهات فيها. كما أدركوا أنّ معرفة علم البيان مفتقرة إلى النّحو، وقد كان العلماء يقفون عند الحاجة على بعض المباحث المشتركة ليبيّنوا حظ النّحويّ والبلاغيّ. وقال الزمخشري في « تفسير قوله تعالى: ﴿قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ إِذٗا لَّأَمۡسَكۡتُمۡ خَشۡيَةَ ٱلۡإِنفَاقِۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا﴾[1]، "لو" حقها أن تدخل على الأفعال دون الأسماء، فلابد من فعل بعدها في (لو أنتم تملكون) وتقديره (لو تملكون تملكون) فأضمر "تملك" إضمارا على شريطة التفسير وأبدل الضمير المتصّل الذي هو الواو والضمير المنفصل الذي يقتضيه علم الإعراب، أمّا ما

[1] الإسراء: 100.

يقتضيه علم البيان فهو أنّ (أنتم تملكون) فيه دلالة على الاختصاص وأنّ الناّس هم المختصون بالشح المبالغ»[1]. إذن معرفة علم البيان مفتقرة إلى علم الّنحو، وعمل البلاغي مرتكز أساسا على معطيات الّنحو وحتى تكتسب البلاغة شرعيتها وتتمتع باستقلالية انطلقت من الّنحو واستحضرت غّيه الذّحوي.

- **بين علمي النّحو وعلم المعاني:** ويذكر البلاغيون مصطلحات أطلقوها على مباحث بلاغية تتعلّق بالجملة: من حذف وذكر، تعريف وتنكير أو تقديم وتأخير أو قصر أو فصل ووصل أو إيجاز أو إطناب. ولقد تنّبه علي الّنجدي ناصف إلى العلاقة الوثيقة بين مباحث علم المعاني والّنحو، وأنّ هناك صلة شديدة بين منهج سيبويه في كتابه وبين منهج علماء البلاغة المتأخرين في علم المعاني حيث يقول: « فالفكرة التي كان سيبويه يرعاها ويصدر عنها في توسيع مباحث الّنحو وترتيب أبوابه كما تمثلت لي بالّنظر والمراجعة في الكتاب، مدارها العامل أّولا وأخيرا، نظر في الجملة حيث تكلّم عن المسند والمسند إليه، فإذ هي فعلية واسمية... ثم تكلّم عن الفعل المحذوف والفعل المذكور والمتعلقات... ثم صار إلى الجملة الاسمية فتكلّم عن الابتداء ونواسخه...»[2]. إنّ المعاني أقرب شيء للّنحو من حيث أّنها تتناول التراكيب والسّياق، ثم إنّ المعاني والّنحو يتقاسمان الّنظر في التركيب على نحو ما سبق، فالّنحو يبدأ بالجملة ليصل منها إلى السّياق المتصل، ولقد صرّح بهذه العلاقة

[1] الزمخشري، الكشاف، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، (د ب): (د ت)، ط2، ص696.

[2] علي الّنجدي ناصف، سيبويه إمام الّنحاة، دار عالم الكتب، (د ب): (د ت)، ط2، ص178.

بين النّحو وعلم المعاني أبو البلاغة العربية عبد القاهر الجرجاني، فأنشأ فكرة "النّظم" ونسبه إلى المعاني وجعلها مع معاني النّحو. إنّ الذي يفرّق بين النّحو وعلم المعاني تفريقا حقيقيا، هو محاولة لقتل الروح الجمالية والذوقية في التركيب. وإنّ الذين ينفون التطابق الكلي للعلمين نجد ابن الأثير في قوله: « إنّ فنّ الفصاحة والبلاغة غير فنّ النّحو والإعراب»[1]. وقوله هذا عدم التطابق الكلي للعلمين (علم النّحو وعلم المعاني). كلاهما في الحقيقة يدرسان جملا ونصوصا ولكّنهما يتناولان ذلك بطريقتين مختلفتين وتقنيات مختلفة، فالمعتبر عند صاحب المعاني هو الاستعمال دون الوضع والاشتهار دون الصّحة. وقد عبّر ابن الأثير عن هذا الاختلاف حين قال: « البلاغي والنّحوي يشتركان في أنّ النّحوي ينظر في دلالة الألفاظ على المعاني من جهة الوضع اللّغوي وتلك دلالة عامة، وصاحب علم البيان ينظر في فضيلة تلك الدلالة، وهي دلالة خاصة والمراد أن تكون على هيئة مخصوصة من الحسن»[2]. فبالنسبة لابن الأثير هناك مباحث تتصل فيها البلاغة بالنّحو، ومباحث أخرى ينفصلان فيهما. ومن الذين يدافعون عن استقلالية علم المعاني عن النّحو السبكي. وهنا نخلص إلى أنّ النّحو والمعاني ليسا متطابقين وليسا متعارضين بل هما متكاملان بحيث لا يستغني أحدهما عن الآخر.

[1] ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: الشيخ كامل محمد عويضة، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت: 1998، ص383.

[2] ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، ص39.

2- تعريف المعنى وأنواعه:

أ. **تعريف المعنى لغة واصطلاحا:** لقد كانت قضية مصطلح "المعنى" محل خلاف كبير بين الّقاد من ناحية المعنى اللّغوي والاصطلاحي. ونذكر تعريف ابن منظور للمصطلح: في لسان العرب: « أصل الكلمة " معنى" أي معن الفرس، ونحوه يمعن معنا. وأمعن كلاهما تباعد عاديا، وفي الحديث: أمعنتم في كذا أي بالغتم، وأمعنوا في بلد العدو وفي الطلب أي جدّوا وأبعدوا، وأمعن الرجل هرب وتباعد»[1]. ومن تعريف ابن منظور نجد أنّ المعنى يقصد به المبالغة في الكلام والجدّية والابتعاد والهروب والتباعد في الآراء والمواقف، واصطلاحا هو ما اتفق عليه العلماء على اتخاذه للتعبير عن معنى من المعاني العلمّية، أو هو اتفاق العلماء على التعبير معنى بلفظ معّين يصير علما على هذا المعنى[2]. والعلاقة بين المعنى اللّغوي لمصطلح" معنى " والمعنى الاصطلاحي له هو أن نتجاوز اللفظ إلى معان كثيرة يحملها، والابتعاد في التعبير عن معان كثيرة حقيقية كانت أو مجازية، أدبية أو علمية... وأنواع المعنى كثيرة نقتصر فيها على المعنى الّنحوي والمعنى البلاغي، وسننطلق من تعريف علم الّنحو وعلم البلاغة لنصل بهما إلى تعريف المعنيين السّابقين:

ب. **أنواع المعنى:** سنحاول في هذا العنصر أن نبّين المعنى الّنحوي والمعنى

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مادة: معن.

[2] عبد الله أحمد جاد الكريم، المعنى والّنحو، مكتبة الآداب، القاهرة: (د ت)، ط1، ص 12.

البلاغي وما تعلق بهما، وقد اهتممنا بهذين المعنيين لعلاقة موضوعنا بهما أكثر من الأنواع الأخرى للمعنى: ويجب التنبيه إلى كون الدراسة الدلالية في المرحلة الأولى-مرحلة التأسيس-لم تكن ذات أهمية، وإن وجد هناك حديث عن المعنى فإنّما هو المعنى النّحوي الوظيفي الصرفي « إنّه معنى ا لأبواب النّحوية كالفاعل ونائبه والخبر... وهذه المعاني تحرصها قرائن صوتية كالعلامة الإعرابية أو صرفية كالبنية الصرفية والمطابقة والربط والأداء، أو تركيبية كالتضام والرتبة، ومعنى هذا أنّ الأبواب النّحوية وظائف تكشف عنها القرائن أو بعبارة أخرى معان وظيفية للقرائن المستمدة من الأصوات والصرف والمماثلة في التركيب والسّياق»[1]، فالفاعل النّحوي ليس هو الفاعل الدلالي، بمعنى أنّ هذا الفاعل لا يخرج عن ثلاث قرائن: صرفية، صوتية، وتركيبية وليست دلالية. فالجملة الآتية مثلا: (ضرب زيد عامرا) يدرسها النّحوي على الشكل الآتي: (ضرب) فعل ماض و(زيد) فاعل و(عامرا) مفعول به، بمعنى آخر أنّ جملة (ضرب زيدا عامرا) لا تفيد النّحوي في شيء إلاّ في الوظائف التي تؤديها كل كلمة على حدّة. وإذا انطلقنا من كون النّحاة تعاملوا مع الكلمة التي تتشكل منها الجملة، فإنّ ذلك لم يكن عبثا وإنّما كان لاعتبار هام جدا هو أنّ الجملة الواحدة يسهل ضبطها وحصرها، في حين إذا تجاوزنا الجملة إلى بعد فوق جملي، فإنّ ذلك يصعب معه ضبط اللّغة العربية، وما دمنا نتحدّث عن الكلمة

[1] تمام حسان، الأصول في النّحو، دار الثقافة، الدار البيضاء: (د ت)، (د ط)، ص318.

المفردة في علاقتها بكلمة أخرى داخل النّسق الجملي، فإنّ الحديث عن المعنى الدلالي يغدو شبه مستحيل ومن ثم يتحدد التمايز بين علم النّحو وعلم المعاني. لكن ما موقع المعنى من دراسة النّحوي للجملة؟ إنّ طرح مثل هذا السؤال يحيلنا إلى متاهة الحيرة إذ نجد أنفسنا تائهين بين ثلاث تعريفات للمعنى، فهل نحن بصدد تعريف نحوي للمعنى؟ أم بصدد تعريف معجمي للمعنى؟ أم أنّنا في الأخير أمام تعريف دلالي؟ نستنتج أنّ المرحلة الأولى عرفت ما يسمى بالمعنى الوظيفي أو الإعرابي، ذلك أنّ حركات الإعراب ليست شيئا زائدا أو ثانويا، فدخلت لأداء وظيفة أساسية في اللّغة، إذ بها يتضح المعنى ويظهر، وعن طريقتها نعرف الصّلة النّحوية بين الكلمة في الجملة الواحدة[1]. وقد ذكر مصطفى محمد العطار في خلاصة بحثه عن المعنى النّحوي ما يلي: « الخلاصة التي يمكن أن نحصرها من بنية هذا البحث يمكن إجمالها في كون المعنى في الدراسات النّحوية. وإنّ درس هذا الأخير في علاقته مع الإعراب-من منطلق كون هذا الأخير فرع المعنى، فإنّ الدراسة النّحوية لمسألة المعنى كانت دراسة لم تتعد المستوى الجملي بما هو دراسة نسقية مكّونة من عناصر مفردة (فعل، فاعل ومفعول به) وبذلك تاه المعنى وسط ركام

[1] عبد العزيز عبده أبو عبد الله، المعنى والإعراب عند النّحويين ونظرية العامل، منشورات الكتاب والتوزيع والإعلان، (د ب): (د ت)، ط1، ص271.

التقديرات الإعرابية»[1] و بذلك جعل الإعراب فرعا من فروع المعنى النّحوي إذ حاول أن يستدلّ على ذلك قول ابن جنّي: « الإعراب هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ»[2]، بين المعنى البلاغي صلة وطيدة، ويقصد بالمعنى البلاغي: تلك المدلولات المعنوية التي ينتهي إليها المتكلّم باستخدامه للأمور الحسّية التي تتمثل في الألفاظ وغيرها من القواعد النّحويّة. قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا﴾[3]. وهذا المعنى الذي نريده، وهذه الآية الكريمة يمكن أن نستعين بها لتلقي لنا ضوءا على ما يقصد بالبلاغة أو بلاغة القول، فهنا نجد أنّ (بليغ) جاءت صفة للقول؛ والمعنى البلاغي ينبغي أن يكون مؤثرا في النّفوس؛ يفتح أبوابها ويهزّ جوانبها. والبلاغي ناتج عن المعاني النّحوية وتوخيها، وما يحدث فيها من تقديم وتأخير، وحذف وتعريف وتنكير قد يخلّ بالمعنى أو ببلاغة القول والقائل، وكما قد يحسن من بلاغة القول والقائل. ويظهر علم المعاني وهو فن من فنون البلاغة بمباحثه التي تحاول أن تربط بين النّحو والبلاغة، فيكون ترتيب الكلام مسبوقا بالمعاني التي هيّأنا في النّفوس. فتعلم من علم المعاني كيف نرتب كلامنا، كي يكون متفقا مع المعاني التي نريد أن

[1] مصطفى محمد العطار، المعنى النّحوي: قراءة في مرحلة التأسيس و ما بعد التأسيس، موقع الأساتذة المبرزين والباحثين في اللّغة العربية.

[2] ابن جنّي، الخصائص، تح: محمد علي النّجار، دار الكتاب العربي، ج2، ص08.

[3] النساء: 63.

نتحدث عنها: ومع أحوال الذين نخاطبهم، ونتحدث إليهم ولبيان المقصود بالمعنى البلاغي نذ كر أمثلة عن القضايا النّحويّة وأغراضها البلاغية؛ فالتخفيف مثلا غرض بلاغي لظاهرة الحذف كما نجد أغراضا أخرى له. وسنذكر مثالا نتوسّم فيه فهم المعنيين البلاغي والنّحوي؛ قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[1]. فكان من الممكن أن يكون النّظم على هذا النّحو(فَلَما بَلَغَ السَّعْيَ مَعه) فيأتي النّحو ليسأل سؤالا مشروعا: هل تقديم الظرف "معه" مما تقرره العربية؟ فيجد أنّ العربية تقرر ذلك. من هذا المنطلق تبحث البلاغة أيضا: لماذا قدّم؟ وما علاقة التقديم بالحال؟ وما الغرض؟ فالنّحو -هنا-يضع قاعدة هي« يجوز تقديم الظرف على المفعول والفاعل» أماّ البلاغة فتقول: « قدّم لغرض كذا... ومقتضى الحال كذا...» ومن هنا نلاحظ أنّ مهمة النّحويّ غير مهمة البلاغي ولكن كلاهما يبحث عن خدمة المعنى.

[1] الصافات: 102.

الفصل الثاني :

أثر المعنى النّحوي في توجيه المعنى البلاغي

1- توجيه المعنى النّحوي للمعنى البلاغي.

2- النّحو البلاغي عند الجرجاني.

1- توجيه المعنى النّحوي للمعنى البلاغي:

بعد أن تطرّقنا إلى الفصل النّظري من بحثنا، نتحدث في الفصل الثاني من الجانب التطبيقي له: والذي تناولنا فيه توجيه المعنى النّحوي للمعنى البلاغي، ونذكر فيه: مسائل نحوية كالتقديم والتأخير، الحذف والفصل والوصل. ووجّهنا إليها النظرة البلاغية، فتناولنا أهم آراء سيبويه في النّحو، والجرجاني من الوجهة البلاغية. حاولنا أن نجد الأثر الذي يتركه النّحو في البلاغة، كما ذكرنا ما يسمى بالنّحو البلاغي عند الجرجاني ختاما لهذا الفصل. وكان أليق أن نذكر موضوعات كالتقديم والتأخير والحذف والوصل والفصل في التراث النّحوي والبلاغي باعتبارها مظهرا من مظاهر الالتقاء والتلاحم بين العلمين.

أ- التقديم والتأخير: التقديم: هو خلاف التأخير واصل في بعض العوامل والمعمولات والتأخير: فهو مصدر للفعل أخّر، وهو خلاف التقديم، وفي الاستعمال النّحوي حالة من التغيّر تطرأ على جزء من أجزاء الجملة، وتوجب وضعه في موضع لم يكن له في الأصل. ويقول سيبويه في مسألة التقديم والتأخير: « كأنّهم إنّما يقدمون الذي بيانه أهم لهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم»[1]. في هذا القول، يرجع سيبويه التقديم والتأخير في العربية إلى العناية والاهتمام، و قد وضّح ابن جنّي ما يجوز تقديمه نّحويا فذكر الفاعل والمفعول فقال: « فصل في التقديم والتأخير وذلك على

[1] سيبويه، الكتاب، تح: هارون عبد السلام، دار الجيل، بيروت: (د ت)، ص 34.

ضربين: أحدهما ما يقبله القياس والآخر يسهله الاضطرار، الأوّل كتقديم المفعول على الفاعل تارة، وعلى الفعل ناصبة أخرى، ك (ضرب زيد عمرو)، و(زيدا ضرب عمرو)»[1]، فسيبويه و ابن جنّي لم يركّزوا على المقصد أو الهدف من وراء التقديم والتأخير وإن كانوا قد تناولوه في سياق عرضهم للقواعد النّحوية بشكل تام. ونجد نظرة البلاغيين لمسألة التقديم والتأخير، فالجرجاني قد نّبه إلى أهميتها قائلا: « هو باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التصرّف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر سببا أن راقك ولطف عندك، أن قدم فيه شيء وحول اللفظ من مكانه إلى مكان"[2]. فالتقديم والتأخير عند الجرجاني شيء من حسن كلام العرب فهم: يقدّمون على نّية التأخير، فتقديم الخبر على المبتدأ كقولك: " منطلق زيد"، فيظل (منطلق) : خبر مرفوع وإن قدّم»[3]. وتقديم لا على نّية التأخير: وفيه ينتقل حكم المقدّم إلى غير حكمه ويختلف إعرابه ونضرب لهذا الوجه مثالا: كتساوي المبتدأ والخبر في التعريف: فيحتمل أن يكون أيّ منهما المبتدأ كقولك: زيد منطلق، فخيف التباس المبتدأ بالخبر فقدّم المبتدأ وجوبا، فسيبويه علّل هذه المسألة هو ذكره لسبب العناية والاهتمام فقط، دون توسع في معاني هذا الأسلوب. وأمّا الجرجاني لا ينفي أنّ العناية والاهتمام من

[1] ابن جنّي، الخصائص، تح: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، ص 372.

[2] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 102.

[3] ينظر: نفسه، ص 102.

العناصر المقررة لمسألة التقديم والتأخير ويؤكّد أنّ هذا النّوع من التقديم يعتمد على معرفة الحكم في الابتداء بالنّكرة في الاستفهام، حيث أوضح فيه أنّ المعاني النّحوية تضفي على الجمل دلالات معنوية مرتكزة على دلالة الجنس لا النّوع موجبة تقديم النّكرة على الفعل، فيقول: « وإذ قد عرفت الحكم في الابتداء بالنّكرة في الاستفهام فابن الخبر عليه فإذا قلت: رجل جاءني: لم يصلح حتى تريد تعمله أنّ الذي جاءك رجل لا امرأة، ويكون كلامك مع من عرف أنّ قد أتاك آت. فإن لم ترد ذاك، كان الواجب أن تقول: جاءني رجل، فتقدّم الفعل وكذلك إن قلت (رجل طويل جاءني) لم يستقم حتى يكون السامع قد ظنّ أنّه قد أتاك قصير أو نزلته منزلة من ظن ذلك»[1]. وهذا مثال الجرجاني في قضية التقديم والتأخير، حسب نظريته بحيث يشترط البحث في المعاني الإضافية للتركيب، وبذلك يكون الجرجاني قد خالف تلك النظرة التي كان يراه من سبقه من علماء اللغة بوضعهم هذا الباب من أجل العناية، لأنّ باب التقديم والتأخير لا يأتيان للاهتمام أو العناية، إنّما يأتيان لتحرير المعاني وضبطها، وقد ذكر الفائدة المتوخاة من جدوى التقديم والتأخير، فيرى أنّ التقديم ينقسم إلى مفيد وغير مفيد، والسبب في ذلك هو أنّ هذه المسألة جعلت للعلل بيانية.

ب- **الحذف**: القطع والإسقاط. جاء في لسان العرب لابن منظور تعريفه للحذف فقال: « حَذَفَ الشيء يحذفه حذفا. قطعه من طرفه والحجّام يحذف الشعر من ذلك ...

[1] ينظر: دلائل الإعجاز، ص143.

والحذف الرّمي عن جانب والضرب»[1] ، والحذف اصطلاحا ظهر في كتابات القدماء والمحدثين فقد عرّفه الرّماني (ت 374هـ) بأنّه : « إسقاط كلمة بخلف منها يقوم مقامها»[2]. والمعنى الجامع للمعنى اللغوي بالمعنى الاصطلاحي هو الإسقاط .

يراد بالحذف في النّحو إسقاط كلمة من بناء الجملة، وتكون هذه الكلمة ركنا من أركانها كالمبتدأ أو الخبر أو الفعل أو الفاعل أو تكون من الفضلات، ويرجع النّحاة الحذف إلى كثرة الاستعمال والميل الإيجاز والاختصاص في الكلام فهم يجيزون الحذف لوجود دليل يدل عليه، يقول سبويه في الحذف عند علم المخاطب بالمحذوف : « ومما يقوي ترك نحو هذا لعلم المخاطب به قوله عزّ وجلّ: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[3]، فلم يعمل الآخر فيما عمل فيه الأوّل استغناءا عنه، ومثل ذلك(ونخلع و نترك من يفجرك) »[4]. إذا ما انتقلنا إلى رأي الجرجاني وهو بلاغي فإنّه ينّبه على أهميته وقيمته الجمالية، فهو يقول: « هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسّحر، فإنّك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة،

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مادة: حذف .

[2] أبو الحسن علي ابن عيسى الرّماني المعتزلي، النكت في إعجاز القرآن، تح: محمد خلف الله، دار المعارف مصر: 1976، ط3، ص72.

[3] الأحزاب: 35.

[4] سيبويه، الكتاب، ط1، ص 346.

وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن»[1]. وكما رأينا بأنّ الجرجاني قد ذكر مواصفات الحذف وما يضيفه للمعاني من بهاء. فقد تطّرق أيضا إلى مواضع حذف المبتدأ فقال في هذا النوع: « يبدؤون بذكر الرجل ويقدمون بعض أمره، ثّم يدعون الكلام الأّول، ويستأنفون كلاما آخر، وإذا فعلوا ذلك أتو في أكثر الأمر بخبر من غير المبتدأ»[2]. وهذا في موضع القطع والاستئناف، إذ يحذف المبتدأ اعتمادا على ذكره سابقا. وذكر الزجاج: « قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾[3] محتمل للقطع والاستئناف، فإذا وقفت على(هو) كانت كلمة(الحّي) خبرا لمبتدأ، وإذا لم تقف فهو خبر ثان للفظ الجلالة المذكور، ولا يوجد حذف»[4] . وفي هذه الآية الكريمة حذف المبتدأ، وتقديره: (هو) قصدا إلى تعظيم لفظ الجلالة (الله)، وقصده تعظيم (الخبر). « ويلاحظ أنّ ضمير الشأن (هو) الذي يدل على التعظيم، فحذف هذا الضمير، لأنّ السياق يدل على التعظيم، ولا حاجة لذكر المبتدأ إذا كان ضمير شأن

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص95 .

[2] نفسه، ص147.

[3] آل عمران: 2.

[4] أبو إسحاق الزجاجي، إعراب القرآن، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية، (د ب): 1982،ج3، (د ط)، ص180.

يدل على التعظيم»[1]. ويظهر هنا أثر النّحو في البلاغة، فالحذف في الآية السابقة يظهر مقام العظمة كغرض بلاغي.

ج- الفصل والوصل: يعد الفصل والوصل واحدا من المباحث البلاغية المهمة التي شغلت مجالا واسعا عند علماء البلاغة، وهو يقوم على معرفة المتكلم لمقاطع الكلام وبداياته ونهاياته، ليدل على تعلّق المعاني وشدة اتصالها، وقد أشاد العلماء القدماء بدقة هذا المبحث وأهميته من مباحث علم المعاني.

فقد أشار القزويني (ت739هـ) في قوله: «الوصل عطف بعض الجمل على بعض والفصل تركه»[2]، ويظهر من خلال هذه الصيغة التعريفية أنّ البناء التركيبي لثنائية الفصل والوصل إنّما يقوم على أساس نحوي يمثله باب العطف فقد درس النّحويون الجملة الواقعة بدلا أو بيانا أو تأكيدا كما درسوا العطف والاستئناف، وغير ذلك مما صار أصولا هامة تقوم عليها دراسة الفصل والوصل في كتب البلاغيين.

وفي باب (بدل المعرفة من النكرة، و قطع المعرفة من المعرفة مبتدئة) يقول سبويه : " أمّا بدل المعرفة من النّكرة، فقولك: مررت برجل عبد الله. كأنّه قيل له، بمن مررت؟ أو ظن أنّه يقال له ذاك، فأبدل مكانه قبل ما هو أعرف منه ... و قد يكون مررت

---

[1] تمام محمد عيد المنيزل، الحذف في النّحو العربي، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية للنّشر والتوزيع، الأردن: 2012، ط1 ، ص 77.

[2] جلال الدين محمد بن عبد الرحمان الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، (د ت)، ط1، ص151.

بعبد الله أخوك كأّنه قيل له : من هو؟ أو من عبد الله؟ فقال أخوك، وتقول: مررت برجل الأسد شدة، كأّك قلت: مررت برجل كامل، كأّك أردت أن ترفع شأنه، وإن شئت استأنفت كأّنه قيل له من هو"[1]. وقد أشار الجاحظ الفصل والوصل، حيث دون التطرق إلى تعريف خاص به، حين أورد في كتابه البيان والتبيين تعريفات للبلاغة ومما قاله: "قيل للفارسي: ما البلاغة؟ قال: معرفة الفصل والوصل"[2].

وأما الجرجاني فقد اهتم اهتماما كبيرا بالفصل والوصل، حيث بحث فيه كثيرا، إذ جعل الفصل والوصل سرا من أسرار البلاغة فيقول: «لا نعلم شيئا يبتغيه النّاظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه... وينظر في الجمل التي تسرد فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل ثم يعرف فيما حقّه الوصل موضع (الواو) من موضع (الفاء) ، وموضع (الفاء) من موضع (ثم) وموضع (أو) من موضع (أم) وموضع (لكن) من موضع (بل) »[3].إنّ ما أشار إليه الجرجاني هو أنّ فكرة الفصل والوصل بين الجمل، هي فكرة نحوية من الأساس، لذلك لاعتمادها على أسلوب العطف وهو عنصر نحويّ مهم. ويسرد الإمام الجرجاني أمثلة قرآنية يظهر فيها وجوب العطف، ولكن يترك العطف فيها لعارض يعترضها. فيقول: « وقد ترى الجملة وحالها التي قبلها حال ما يعطف ويقرن إلى ما قبله، ثم تراها قد وجب فيها ترك العطف، الأمر عرض

---

[1] سيبويه، الكتاب، تح: هارون عبد السلام، دار الجيل، بيروت، ج2، ص4.

[2] الجاحظ، البيان والتبيين، تح: علي بوملحم، دار ومكتب الهلال، ج1، ط1، ص77.

[3] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 82.

فيها صارت به أجنبية مما قبلها مثال ذلك: ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾[1] كما لا يخفى يقتضي أن يعطف على ما قبله من قوله: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ﴾[2] وذلك أنّه ليس بأجنبي منه، بل هو نظير ما جاء معطوفا على قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾[3] وقوله:﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾[4]. و ما أشبه ذلك مما يردّ فيه العجز على الصدر، ثم إنّك تجده قد جاء غير معطوف»[5]، وذلك لأمر أوجب أن لا يعطف وهو أنّ قوله: " إنّما نحن مستهزئون" حكاية عنهم أنّهم قالوا وليس بخبر من الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ ﴾ خبر من الله تعالى أنّه سيجازيهم على كفرهم واستهزائهم وإذا كان ذلك كان العطف ممتنعا لاستحالة أن يكون الذي هو خبر من الله تعالى إلى كونه حكاية عنهم،

---

[1] البقرة: 15.

[2] نفسه: 14.

[3] النساء: 142.

[4] آل عمران: 54.

[5] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 231.

ولإيجاب ذلك أن يخرج من كونه خبرا من الله تعالى إلى كونه حكاية عنهم وإلى أن يكونوا قد شهدوا على أنفسهم بأّنهم مؤاخذون، وأنّ الله تعالى معاقبتهم»[1]، وأما مواضع الفصل عند الجرجاني ما ذكره في كتابه " دلائل الإعجاز" وهي كثيرة، يقول الدكتور عبد الفتاح لاشين:« ويمثل عبد القاهر الجرجاني لمواضع الفصل والوصل بقوله تعالى: ﴿الٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾[2] ويقول: « قوله: لا ريب فيه. بيان وتوكيد وتحقيق لقوله: ذلك الكتاب، وزيادة تثبيت له، وبمنزلة أن تقول: هو ذلك الكتاب، فتعيده مرة ثانية لتثبيته ولـيس شيء يثّبت الخبر غير الخبر، ولا شيء يتميّز به عنه فيحتاج إلى ضام يضمه إليه، وعاطف يعطفه عليه»[3]. ومن هذا يمكن استخلاص أنّ النّحو له الفضل الكبير في بناء المسائل البلاغية خاصة أنّ الجرجاني هو أخرج ذ لك التكامل الموجود بين النّحو والبلاغة، ونستخلص أيضا مما سبق ما يلي أنّ الفصل والوصل من خصائص لغة العرب الأقحاح، فعتبروه حدّا من حدود البلاغة، فهو مسلك دقيق يحتاج إلى تمعن.

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 232.

[2] البقرة: 1، 2.

[3] عبد الفتاح لاشين، التراكيب النّحوية من الوجهة البلاغية، دار المريخ للنشر، الرياض: (د ت)، ص 130، 131.

2- النّحو البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني:

كان النّحو في عصر الخليل وسيبويه مختلطا بالبلاغة، فهم كانوا يشيرون إلى المسائل النّحوية وهي تحمل القضايا البلاغية في طياتها، بعد ذلك درس العلماء النّحو حتى جعلوا منه قوانين جامدة، ومن بعد ذلك جاء الجرجاني ليدرس تلك المعاني النّحوية وهي مرتبطة بالبلاغة، فحرّك فيها روحها فجعلها حيوية. وقد ضمّن كتابه (دلائل الإعجاز) تلك الجهود، فتطرق فيه إلى الظواهر اللّغوية المتمثلة في التقديم والتأخير، الحذف، القصر، الفصل والوصل... وغيرها. فما قام به هذا اللّغوي يعتبر منهجا ونهجا جديدا ، من خلال ربطه للّنحو بالبلاغة، حيث يقول الجرجاني: « واعلم أنّه ليس النّظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النّحو، وتعمل على قوانينه، وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها»[1]، لا يمكن فصل النّحو عن البلاغة، هذا ما جاء به الجرجاني في كتابه "دلائل الإعجاز"، لأنّهما يلتقيان في نظم الكلم وضم بعضه إلى بعض، كما لا يمكن دراسة بلاغة الكلام دون دراسة النّحو، لأنّه الأساس في العلاقات التي تحكم النظم، ففساد التركيب نا شئ عن عدم توخي معاني النّحو وأحكامه.

وقد مثّل الشيخ لنظريته التي تعني "توخي معاني النّحو في معاني الكلام" بأمثلة: « وجملة الأمر إنّما هو أنّ "الحمد" من قوله تعالى: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ط1، ص 69، 70.

ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[1]: مبتدأ، والله خبر، وربّ صفة لاسم الله تعالى مضاف إلى العالمين، والعالمين مضاف إليه، والرحمن الرحيم: صفتان للربّ، ومالك من قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾[2]. صفة أيضا مضاف إلى يوم، ويوم مضاف إلى الّدين، وإياك ضمير اسم الله تعالى مما هو ضمير يقع موقع الاسم، إذا كان الاسم منصوبا»[3]، ولقد أكّدت نظريته (الّنظم) على عدم الفصل بين الّنحو والبلاغة كما تتلازم الفائدة والإسناد في الكلام. والتركيب النحوي له معنى أوّل يدل على ظاهر الوضع اللغوي وله معنى ثان، ودلالة إضافية تتبع المعنى الأوّل، وهذا المعنى الثاني، وتلك الدلالة الإضافية هي المقصد والهدف في البلاغة، وقد جهد عبد القاهر في سبيل هذا الهدف، وشقي في الوصول إلى ذلك الغرض، حتى خرج بقاعدة لا تتخلف، وقانون لا يقبل النقض وهو أن دقة الّنظم، والبلاغة، والبراعة، والبيان كامنة في معاني الّنحو، ومطوية في التركيب اللغوي. وذلك يطبق على أبواب علم المعاني، فذلك التركيب الّنحوي الصحيح يستتبعه حتما معنى ثان، ودلالات إضافية هي التي يبحث عنها علماء البلاغة. يقول الجرجاني: « فالتربة الدنيا تتعلق بالواضع، والثانية بالتصريفي والثالثة بالّنحوي والرابعة بصاحب علم المعاني والخامسة بصاحب علم

[1] الفاتحة: 01.

[2] نفسه: 04.

[3] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص287.

البيان والسادسة بصاحب علم البديع، ويجب على صاحب كل منها ألا يتسلم الكلام ممن قدمه إلا بعد كمال صنعته».[1] فالجرجاني حاول ترتيب العلوم اللغوية، فمنهج عبد القاهر -إذن- هو منهج النّحو الذي لا يقف عند حدود الحكم بالصحة والفساد بل يمتد إلى البحث في العلاقات لتي تقيمها الّلغة بين الكلمات مستغلا في ذلك معطيات النّحو وأبعاد المعاني إلى أبعد الحدود، حتى أصبح الأساس عنده هو النّحو، على أن يشمل النّحو علم المعاني فأصبحت مباحث التقديم والتأخير، والحذف والذكر، والوصل والفصل... من مباحث العلمين جميعا، إنّ عرض الجرجاني للمسائل النّحوية تختلف عن الطريقة التي يقوم بها النّحويون في عرضها، فهم يعرضونها على أساس منطق جامد، أّما في عصره فقد حاول أن يبث روح المعنى في التراكيب النّحوية ويبّين رونق المعاني الروحية فيها. وتقوم نظرية النّظم عنده على أساس أنّ الطرق والوجوه التي يتم فيها تعليق الكلام بعضه ببعض إّنما هي تلك الأحكام النّحوية. ولم يسبق الجرجاني أيضا إلى ما يسمى"التعليق" وهو ارتباط الكلام وتآلفه ونظمه في العبارة من الوجهة الدقيقة التي تنطوي عليها النّفس.

وذكر الجرجاني المسند والمسند إليه ومايكونان عليه من صور كثيرة من حيث التقديم والتأخير، ومن هنا نرى أنّ لكل عنصر من عناصر التركيب صور وأوضاع

[1] محمد بن علي بن محمد الجرجاني، الإشارات والتنبيهات، تح: عبد القادر حسين، دار نهضة مصر للطباعة والنشر: (د ت)، ط1 ، ص3.

متعددة. يقول عبد الفتاح لاشين: « فعبد القاهر وهب نفسه للدفاع عن النّحو، وبيان خصائصه، وإبراز وجه الحاجة إليه في نظم الكلام، وتنسيق التراكيب، وبذلك نراه قد نقل النّحو إلى جوّ يزخر بالحيوية، وجعل موضوعاته ميدانا يجول فيها بذهنه الصافي، ويطّلع النّاس على ألوان من التعبيرات التي تمر بهم، ولكّنهم لم يقفوا على روعتها، ولم يتذوقوها، فهو قد نقل هذا العلم من الاهتمام بأواخر الكلمات فقط، والبحث عن العلّة، وعلّة العلة، إلى علم رحب فسيح، ينبض حياة وحركة»[1]. يظهر من خلال هذا القول للدكتور عبد الفتاح لاشين أنّ عبد القاهر الجرجاني بيّن للنّاس ما تفضيه المعاني النّحوية، ذلك أنّهم لا يتوقفون لتذّوقها. إذن لا خلاف، إذا كان النّحو ينظر إلى التراكيب من وجهة إعرابية، وتنظر البلاغة إليها من وجهة الحسن والبهاء، فالقيام بجمعهما يجعلنا ننتهي إلى المعاني بجمالياتها.

ومن كل ما سبق نستنتج أنّ العلاقة بين النّحو والبلاغة ليست علاقة في مواطن دون غيرها، إنّما تجمعهما مباحث كبرى تعتبر روحا لكلّ منهما. فالنّحو يحيل إلى البلاغة كما تحيل هي إليه.

[1] عبد الفتاح لاشين، التراكيب النّحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني، ص82.

خاتمة:

في هذا الـ بحث المتواضع تناولنا بالدراسة والتحليل فّنين هما الّنحو والبلاغة، وهما من علوم العربية. و قد جمعنا ما تيسّر لنا، وحاولنا أن نذكر أهم آراء علماء العربية في مسألة علاقة الّنحو بالبلاغة وأثرها فيها. فتوصلنا بتوفيق من الله تعالى إلى إجمال بعض النتائج في الّنقاط التالية:

- ✓ إنّ الّنحو سابق للبلاغة، وإذا كان البلاغيون قد استخرجوا مباحثهم من علم المعاني فهذا يعني أنّ الّنحو له الفضل على البلاغة.
- ✓ إ نّ دراسة الّنحوي غير دراسة البلاغي، فالّنحوي كان يدرس التراكيب منعزلة عن المعاني البلاغية، لذلك يعمل البلاغيون على استخراج مواطن الحسن في الكلام.
- ✓ إنّ الجرجاني يعيب على سيبويه بعض المسائل التي لم يتطّرق فيها إلى المعاني الإضافية للتراكيب الّنحوية مثل التقديم والتأخير، و بذلك يكون الّنحو متصلا بالبلاغة عند الجرجاني، وعلاقته بالبلاغة عند سيبويه غير واضحة المعالم.
- ✓ تظهر لنا علاقة الّنحو بالبلاغة في المحاور الكبرى التي يلتقيان فيها ومن ذلك: دراستنا للحذف والفصل والوصل والتقديم والتأخير.

- ✓ علم النّحو يختص بالتراكيب وعلم البلاغة يختص بالمعنى، لذلك تشكّلت اللغة العربية بهما.
- ✓ إنّ ما قام به الجرجاني هو جمع بين ما هو عقلي موضوعي (التراكيب النّحوية) وبين ما هو وجداني ذوقي (فنون البلاغة) خاصة في علم المعاني.
- ✓ إنّ المعاني النّحوية تترك في المعاني البلاغية أثرا وذلك أنّ أي عنصر نحوي: مذكور أو محذوف، مقدّم أو مؤخر، موصول أو مفصول يحيل إلى غرض فنّي بلاغي.
- ✓ النّحو عند الجرجاني هو ترتيب الكلام وفق الترتيب النّحوي، وهو يشدّد العتاب على المزهدين فيه، فهو يفتح أبواب الألفاظ على معانيها.
- ✓ يدرس النّحويون التقديم والتأخير بإظهار مواضعها في التركيب ويعملون على بيان معانيها من خلال الإعراب، بينما يدرسها البلاغيون من وجهة فنّية بديعية لإظهار مواطن الحسن فيها.
- ✓ تكشف البلاغة أيضا عن جماليات الحذف، فهو عند الجرجاني باب دقيق المسلك، ولابد لنا أن نتتبع قصد الجرجاني من دراسته للحذف، إذ لا تعتبر العناصر المحذوفة عنصرا تّم إسقاطه من التركيب فقط لأجل التخفيف فقط إنّما قصد بإسقاطه ذلك الحسن الذي قد يضفيه في معنى الجملة.

- ✓ فكرة الفصل والوصل قضية بلاغية عمادها الأساسي عنصر نحويّ متمثل في العطف، فالوصل هو عطف الجمل بعضها مع بعض وأّما الفصل تركه.
- ✓ إنّ القرآن الكريم كان له الفضل في توجه علماء العربية في دراسة المسائل الّنحوية والبلاغية، والبحث عن العلاقة بينها.
- ✓ الّنحو والبلاغة على علاقة وطيدة، فهو يشير إليها في كل قضية يدرسها. والموضوع لازال محورا يستقطب العديد من الدراسات، والبحث فيه لمن أراد مستقبلا ممكن، والخوض فيه متعة.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

1- ابن الأثير ضياء الدين الجزري، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: الشيخ كامل محمد عويضة، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت: 1998،ج1، ط1.

2- أبو إسحاق عبد الرحمان الزجاجي، إعراب القرآن، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية، (د ب): 1982، (د ط).

3- أبو الفتح عثمان ابن جنّي، الخصائص، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية-بيروت: 2001، ط1 .

4- أبو الفضل جمال الدين محمد مكرم ابن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب، المكتبة التوفيقية، (د ط)، ج5.

5- أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: الرزاق المهدي، دار التراث العربي، (د ب): (د ت)، ط2.

6- أبو بكر عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، (د ب): (د ت)، ط1.

7- أبو عبد الله عبد العزيز عبده، المعنى والإعراب عند النّحويين ونظرية العامل، منشورات الكتاب والتوزيع والإعلان، (د ب)، (د ت)، ط1.

8- أبو هلال العسكري الحسن بن عبد الله بن سهل، الصناعتين(الكتابة والشعر) تح: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية-لبنان: (د ت)، ط2.

9- تمام حسان، الأصول، دار الثقافة، الدار البيضاء: (د ت)، (د ط).

10- عبد الفتاح لاشين، التراكيب الّنحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني، دار المريخ للّنشر، الرياض: (د ت).
11- عبد الله أحمد جاد الكريم، المعنى والّنحو، مكتبة الآداب، بيروت: (د ت)، ط1.
12- علي الّنجدي ناصف، سيبويه إمام الّنحاة، دار عالم الكتب، (د ب): (د ت)، ط2.
13- قيس إسماعيل الأوسي، أساليب الطلب عند الّنحويين والبلاغيين، بيت الحكمة للنشر و الترجمة، بغداد: 1988.
14- محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، تح: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت: 2000، ط1.
15- محمد بن محمد الجرجاني، الإشارات والتنبيهات، تح: عبد القادر حسين، دار النهضة مصر للطبعة والّنشر، ط1.

المواقع الشابكة:

1- مصطفى محمد العطار، المعنى الّنحوي، قراءة في مرحلة التأسيس وما بعد التأسيس، موقع الأساتذة المبرزين والباحثين في اللغة العربية

http://l.arabeagreg.net

فهرس الموضوعات:

الموضوع	الصفحة
الشكر.....	ب
إهداء.....	ج-هـ
مقدمة.....	و-ح
الفصل الأّول: المعنى والّنحو والبلاغة.....	1-12
1- مفهوم الّنحو والبلاغة.....	1-4
أ- مفهوم الّنحو: لغة واصطلاحا.....	1
ب- مفهوم البلاغة: لغة واصطلاحا.....	1-4
ج- علاقة الّنحو بالبلاغة.....	4-7
2- المعنى و أنواعه.....	8-12
أ- تعريف المعنى.....	8
ب- أنواع المعنى.....	8-12
الفصل الثاني: أثر المعنى الّنحوي في توجيه المعنى البلاغي.....	13-25
1- توجيه المعنى الّنحوي للمعنى البلاغي.....	13-21
أ- التقديم والتأخير.....	13-15
ب- الحذف.....	15-18
ج- الفصل والوصل.....	18-21
2- الّنحو البلاغي عند الجرجاني.....	22-25
خاتمة.....	26-28
قائمة المصادر و المراجع.....	29-30
فهرس الموضوعات.....	31